القيمُ الأخلاقيَّةُ لدى المُراهِقين

مقدمة من الباحث
ناصر محمد عبد الله محمد مبخوت العجمي
"تخصص صحة نفسية"

مقدمة:

تعد القيم الأخلاقية أحد أهم الدعائم الإيجابية في صنع الشخصية المتوازنة فكريا وروحيا ونفسيا وجسديا، إذ إنها إحدي الأسس العامة لعملية التعليم والتوافق الإنساني؛ بل إنها تلعب دورا مهما في حياة الفرد والمجتمع؛ حيث إنها الموجه والضابط للسلوك الإنساني، كما أنها تلعب دورا مهما أيضا في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، وتساعد الأفراد على التمييز بين الخير والشر، وتقلل من مستوى القلق لديهم (علي بن مسعود، ٢٠٠٩، Masmuzidin et al., 2012 ; Elias, 2011)

وأشارت صالحة عبدالله وآخرون (Abdullah et al.، 2010) إلى أن انتشار الاضطرابات النفسية لدى الأفراد راجع إلى غياب القيم الأخلاقية. ويرى جاكسون وفادي (Vadi & Jaakson ، 2006: 13) أن القيم الأخلاقية وخاصة الأمانة دورا مهما في تحقيق التوافق الاجتماعي للأفراد داخل المجتمع.

ولما كانت القيم الأخلاقية على هذا القدر من الأهمية في تحقيق التوافق والاستقرار النفسي للفرد، فإنه في ظل انتشار الأزمة الأخلاقية بين أفراد المجتمع عامة ولدى المراهقين خاصة – والتي ألقت بظلالها على كافة جوانب الحياة – والتي يتفق كل من زهراء مرادي (٢٠٠٨)، ووليد عبدالناصر (٢٠٠٨)، وجليلة مرسي (٢٠١١) على أنها تمثلت في: الغش، واللامبالاة، والسرقة، والكذب، وسوء الأدب مع الكبار، والأنانية، وانتشار الغل والحقد، والجزع والتذمر، واختفاء الضمير، واختلاط الحق بالباطل، وغياب الوازع الديني، وطغيان المادة على النفوس، وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة؛ كان من الطبيعي أن تنحدر وتتدنى مستويات نوعية الحياة لدى هؤلاء الأفراد؛ حيث يعد انخفاض القيم الأخلاقية مؤشرا واضحا على وقوع الفرد في شرك المشكلات والاضطرابات النفسية، ومن ثم تدني مستوى نوعية الحياة لديه.

القيم الأخلاقية Moral values:

تعد القيم من أهم المتغيرات المؤثرة في تشكيل منظومة الشخصية الإنسانية والمحددة لكل من النسق المعرفي والوجداني والسلوكي للفرد، وهي تمثل إطارا مرجعيا تدور في فلكه وتتمحور حوله وتتشكل له تصورات الفرد العقلية والنزوعية، كما أنها تمثل جوهر الإنسان الحقيقي، فبالقيم يصير الإنسان إنسانا، وبدونها يفقد إنسانيته، ويصبح كائنا بهيمياتسيطر عليه الأهواء وتقوده الشهوات، فينحط إلى مرتبة يفقد فيها عنصر تميزه الإنساني الذي وهبه الله تعالى له (أمينة شلبي، ٢٠١١).

ويعتبر الجانب الخلقي جانبا مهما في بناء الشخصية، ويشتمل هذا الجانب على القيم والمثل والعادات والمعايير السلوكية، كما أنه يساعد الفرد على الوصول إلى التوافق النفسي والاجتماعي (أسامة سالم، ٢٠١١: ١٠).

أولا: مفهوم القيم The Concept of Values:

لقد حار الباحثون في وضع تعريف موكير للقيم؛ إذ إن هذا من الصعوبة بمكان؛ فمفهوم القيم من المفاهيم الجدلية التي تختلف باختلاف الثقافات، وهذا ما أكده دافيد (David, n: d: 12) أن مفهوم القيم يحتاج إلى نظرة مدققة، فالفرد الذي تربى في بيئته على لعب القمار ولقي دعما من والديه ومن أفراد مجتمعه؛ لا يمكننا إدانته؛ لأنها قيمة مجتمعية يقرها المجتمع، فما نعتبره معياريا في مجتمع ما قد يكون غير معياري في مجتمع آخر.

أضف إلى ذلك أن القيم قد استخدمت في مجالات عديدة من مجالات العلوم المختلفة، كالفلسفة، والتربية، والدين، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد.

ولقد بدأ ظهور هذا المصطلح مقترنا بالدراسات الفلسفية التي تقوم على التأمل والتجريد (عبد اللطيف خليفة، ١٩٩٢).

وأشار بيرون وآخرون (Biron et al.، 2012) إلى ضرورة تجنب الخلط بين القيم كمصطلح فلسفي والقيم كمصطلح نفسي عند التعرض لتعريف القيم.

ويعود الفضل إلى عالم النفس الألماني إسبرنجر Spranger في نقل مصطلح القيم من الفلسفة إلى علم النفس، حيث ذكر في كتابه "أنماط الرجال الذي ألفه في أوائل القرن العشرين ستة أنماط من القيم يتوزع عليها الأفراد هي: القيم النظرية، والقيم الجمالية، والقيم الاقتصادية، والقيم الاجتماعية، القيم الدينية، القيم السياسية، ويعد هذا الكتاب هو الأساس لاختبار القيم الذي وضعه " ألبورت وفرنون" وهو الاختبار الذي شاع استخدامه في دراسة القيم لدى الأفراد، كما أنه يعد أساسا لجميع المقاييس التي انبثقت منه فيما بعد (مصطفى سويف، ١٩٧٥: ٣٤٦- ٣٤٧؛ وسهير أحمد، ٢٠٠٠: ٧٥).

ويلخص نبيل حافظ وآخرون (١٩٩٨: ٢٢٩) مسألة الخلاف حول مفهوم القيمة بين الباحثين إلى أنه اختلاف ترجع جذوره الأساسية إلى المنطلقات النظرية للباحثين، وإلى الاختلافات المونوعية بين الفلاسفة وعلماء الدين وعلماء الاجتماع والاقتصاد والسياسة حول هذا المفهوم.

ثانيا: مفهوم الأخلاق The Concept of Morals:

يعد موضوع الأخلاق من الموضوعات التي حظيت باهتمام الباحثين التربويين وغيرهم على مر العصور، ولعل من دواعي هذا الاهتمام كون البناء الأخلاقي مظهرا من مظاهر التعبير عن إنسانية الإنسان؛ إذ إنه من العوامل المهمة في تشكيل اتجاهات الاختيار لدى الأفراد في مواقف التفاعل الاجتماعي، وتوجيه الفعل الاجتماعي نحو الأهداف العامة والخاصة، ويرجع له الفضل في الارتقاء بالمجتمع (نظمي أبومصطفى، ومحمود أبودن، ٢٠٠٠: ١؛ وأسامة سالم، ٢٠١١: ٣)

ثالثا: مفهوم القيم الأخلاقية The Concept of Moral Values:

يتفق كل من ميلفا (Melva، 1988: 9)، ومطهر الفقيه (٢٠٠٧: ١٠)، وزايد الشماري وعبير الحولي(Al Shammary & Al Hooly, 2008: 389)، وهويدا محمد (٢٠٠٨: ١٩)، وأحمد عقلة (٢٠١٠: ١١٨)، وصالحة عبدالله وآخرون (106 :2010 Abdullah et al.،)، وماسمزدن وآخرون (Masmuzidin et al.، 2012: 315)

على أن القيم الأخلاقية عبارة عن: مجموعة من المبادئ والمثل العليا والأخلاق التي يتلقاها الفرد ويتعلمها داخل وسطه الاجتماعي الذي يعيش فيه، وتعد معيارا مرجعا حاكما وموجها لسلوك الأفراد وتعاملاتهم مع الآخرين في المجتمع الذي ينتمون إليه، إضافة إلى كونها موضحة لما هو صواب وما هو خطأ من الأفعال، وتتميز بالثبات والتكرار، ويتفق معظم الناس على إعطائها قدرا و قيمة في ضوء مبادئ ومعتقدات المجتمع، وتختلف من مجتمع لآخر، كما تختلف في المجتمع نفسه من عصر لآخر، ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى، ولها أهميتها في خلق الشخصية المتوازنة فكريا وروحيا ونفسيا وجسديا وعاطفيا.

في حين يتفق كل من جابر قميحة (١٩٨٤: ٤١)، وعبد الوهاب الشيشاني (١٩٨٨: ١٠)، وعاهد مرتجي (٢٠٠٤:٥٨)، ومانع المانع (٢٠٠٠: ٢٤)، ومسفر المالكي (٢٠٠٨: ١٣)، وخالد المزين (٢٠٠٩: ٧)، وأحمد الشهري (٢٠١٢: ١٣٤)، على أن القيم الأخلاقية عبارة عن: مجموعة من المبادئ والضوابط والفضائل والأسس المعيارية التي أقرتها الشريعة الإسلامية متمثلة في القرءان الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتي تعمل على تنظيم العلاقات بين الأفراد في المجتمع المسلم، وصنع نسيج الشخصية الإسلامية وجعلها متكاملة وقادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة؛ لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المودة والمحبة والوئام والأخوة.

ويرى نظمي أبومصطفى ومحمود أبودف (٢٠٠٠: ٣) أن القيم الأخلاقية: "سعي أو عمل يسمو به صاحبه، ونابع عن عقيدة وإيمان وإرادة حرة ونية خالصة لله سبحانه وتعالى، وقصده ابتغاء وجه الله عز وجل ومرضاته، وحرصه على مصالح الآخرين".

في حين يتفق كل من جابر قميحة (١٩٨٤: ٤١)، وحيدر حب الله (٢٠١٠: ٦٠)على أن القيم الأخلاقية عبارة عن مجموعة من المبادئ والأسس والقواعد السلوكية التي فرضها الله على عباده على لسان رسله وأنبيائه لتسيير حياة الإنسان في عالم

الوجود، وتحقيق مقاصد التشريع الإلهي المتمثل في تحقيق عبودية العباد لرب العباد وعمارة الأرض، على أساس التوحيد والعدل.

ويري توماس (Thomas, 2011: 5)، أن القيم الأخلاقية عبارة عن: "مجموعة من المعتقدات الفردية حول كون السلوكيات التي يسلكها الفرد أخلاقية أم غير أخلاقية، فقد يعتقد الفرد أن الكذب تحت أي ظرف من الظروف خطأ أخلاقي، في حين يرى آخر أنه من المقبول أن نقول بأن هناك كذبة بيضاء".

من خلال العرض السابق لمفهوم القيم الأخلاقية يتضح للباحث ما يأتي:

اختلفت وجهات نظر الباحثين حول مفهوم القيم الأخلاقية على خمس وجهات:

- فريق ينظر للقيم الأخلاقية من وجهة نظر إسلامية بحتة، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما أساس هذه القيم، ويفسر الباحث ذلك بأن أصحاب هذه النظرة بحكم مجتمعهم الإسلامي فإنهم ينظرون للقيم الأخلاقية من وجهة نظر إسلامية فقط.
- وفريق ينظر للقيم الأخلاقية من وجهة نظر اجتماعية: بنوعية أن لكل مجتمع قيمه الأخلاقية النابعة من ثقافته ومبادئه ومعتقداته.
- فريق ينظر للقيم الأخلاقية من وجهة فردية، فالفرد هو الذي يحدد لنفسه ما هو أخلاقي من السلوك وما هو ليس بأخلاقي، ويرى الباحث أن هذا اتجاه شاذ؛ لأنه لا قيمة للفرد إلا في وجود الجماعة، وما تتفق عليه الجماعة لا ينبغي أن يسلك الفرد ض ده، وإلا كان مخالفا للجماعة.
- وفريق ينظر للقيم الأخلاقية من وجهة عالمية بنوعية أن القيم الأخلاقية ثابتة ينبغي أن يلتزم بها كل إنسان مسلما كان، أم نصرانيا، أم يهوديا؛ لأن الذي أقرها إله (وحي)، وهذا يعني أن كل الناس مشتركون في هذه القيم، أو بالأحرى كل رسالات السماء نادت بهذه القيم، وأمرت بالالتزام بها لتحقيق الغاية من خلق الإنسان وهي عمارة الأرض.

- وفريق ينظر للقيم الأخلاقية من وجهة نظر إيمانية عقائدية، وأن لكل فرد قيمة الإيمانية العقائدية في ضوء دينه الذي يعتنقه عن إرادة حرة ونية صادقة.

ويتبنى الباحث وجهة النظر العالمية في تعريف القيم الأخلاقية، ويعرف القيم الأخلاقية بأنها: "مجموعة المبادئ والمثل والأخلاقيات الصالحة لكل زمان ومكان، والتي حثت عليها جميع الأديان السماوية، والتي تقي الملتزمين بها من الوقوع في شرك مغريات الحياة، ومن ثم من الوقوع فريسة للمشكلات والاضطرابات النفسية، وتتضمن: الصدق، الأمانة، الصبر، الإيثار، التسامح، تحمل المسئولية".

ويتفق كل من زهراء مرادي (٢٠٠٨)، ووليد عبد الناصر (٢٠٠٨)، وجليلة مرسي (٢٠١١) على احتياج المجتمع المعاصر عامة، ومجتمع المراهقين خاصة إلى التمسك بهذه القيم الأخلاقية (الصدق، الأمانة، الصبر، الإيثار، التسامح، تحمل المسئولية)، حيث تفشى الغش، واللامبالاة، والسرقة، والكذب، وسوء الأدب مع الكبار، والأنانية، وانتشر الغل والحقد، والجزع والتذمر، واختفى الضمير، واختلط الحق بالباطل، وغاب الوازع الديني، وطغت المادة على النفوس، وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة، وكلها أمور لا شك أنها تنغص على الفرد حياته وتشعره بعدم الرضا.

ويرى الباحث أن من أهم ما يؤكد صلاحية هذه القيم الأخلاقية آنفة الذكر لكل زمان ومكان أن تذكر في نصوص القرءان، وفي نصوص الكتاب المقدس؛ ليدل هذا على عالميتها، وأنها لا تقتصر على الإسلام فحسب، بل حثت عليها كل الأديان السماوية.

ورغم أن الباحث يرى أن القيم الأخلاقية الإسلامية هي قيم عالمية في حد ذاتها، صالحة لكل زمان ومكان؛ حيث إن الإسلام رسالة عالمية، إلا أنه يرى أن كثيرا من نصوص الكتاب المقدس قد نسخت بنصوص القرءان الكريم، ومن ثم فإن الباحث يؤكد في دراسته على القيم الأخلاقية التي هي محل إجماع في الديانات السماوية؛ ليقف على الحياد في دراسته؛ ولذلك بحث الباحث عن أهم القيم الأخلاقية التي ذكرت في الكتاب المقدس وأقرها القرءان الكريم – أي إنها محل اتفاق في جميع الأديان السماوية – والتي

يفتقدها مجتمعنا المعاصر عامة وطلاب مرحلة المراهقة خاصة فوجد هذه القيم آنفة الذكر.

رابعا: التوجهات النظرية المفسرة لنمو القيم الأخلاقية:

The Explanatory Theoretical Trends for Moral Values Development:

بعد أن استعرض الباحث مفهوم القيم، ومفهوم الأخلاق، ومفهوم القيم الأخلاقية، يجدر به التطرق إلى بعض التوجهات النظرية التي فسرت نمو القيم الأخلاقية في مدارس ونظريات علم النفس على النحو الآتي:

أولا: فرويد ونظرية التحليل النفسي Freud and Psychoanalytic Theory:

يرى فرويد Freud أن الإنسان يولد مزودًا بطاقة غريزية يغلب عليها الطابع الجنسي أطلق عليها اسم الليبيدو (Libido) وهذه الطاقة تدخل في صدام محتم مع المجتمع، وعلى أساس شكل الصدام وطريقته وما يسفر عنه، يتوقف نمط الشخصية في المستقبل، وهذه الطاقة الغريزية تمر بأدوار محددة في حياة الفرد، ويكون التعبير عنها في كل مرحلة له شكل معين، وخلال أعضاء مختلفة، ففي المرحلة الفمية البدائية يكون الفم هو مصدر اللذة عن طريق المص، وفي المرحلة النمية المتأخرة يكون الفم أيضا هو مصدر اللذة، لكن عن طريق العض، وفي المرحلة الثالثة (الشرجية) تفرغ التوترات بصفة رئيسة بالتبرز، ويرتبط الإشباع الليبيدي بتفريغ وتهييج الغشاء المخاطي الشرجي عند عملية البراز (دانييل لاجاش، مترجم، ب.ت: ٥١-٥٢؛ وعلاء الدين كفافي، ١٩٨٧: ٢٩٧-٢٩٩).

وفي المرحلة الرابعة (القضيبية) التي تقع بين السنتين الثالثة والخامسة من العمر، ينتقل مركز الإشباع من الشرج إلى الأعضاء التناسلية، ويكون مصدر لذة الطفل هو اللعب في أعضائه التناسلية، ويمر الطفل في هذه المرحلة الخطيرة بالمركب الأوديبي الشهير، فيميل الطفل الذكر إلى أمه، وينظر إلى أبيه كمنافس له في حب الأم، وتميل

الأنثى إلى أبيها وتشعر بالغيرة عليه من الأم فيما يعرف بعقدة إليكترا، وفي الظروف الطبيعية للنمو ينتهي الموقف الأوديبي بتوحد الطفل مع والده من جنسه، ويشير التوحد إلى أن الفرد يسلك أحيانا وكأن سلوك شخص آخر هو سلوكه هو، ويتضمن التوحد الإعجاب بهذا الآخر، واتخاذه نموذجا يتطابق معه، ويتبنى آراءه، ويحتذيه في سلوكه، فيبدأ الطفل في تشرب قيم الوالد الثقافية وهي قيم المجتمع، وتبدأ البنت في التحول بعاطفتها نحو الأم لتتوحد معها (علاء الدين كفافي، ١٩٨٧: ٢٦٧-٢٦٨).

وفي المرحلة الخامسة (الكمون) التي تقع ما بين السادسة والبلوغ، تضعف الحوافز بفضل الأوضاع الثقافية ويسقط حجاب من النسيان (أمنيزيا الطفولة)، حيث ينسى الطفل الانحراف المتعدد الأشكال، ويستدخل المبادئ الأخلاقية جاعلا منها سدوا حاجزة في وجه الغرائز، ومن هنا فعندما تعود الغرائز الجنسية إلى الظهور في مرحلة البلوغ تفاجئها هذه السدود الأخلاقية التي لم تعرفها في الماضي، ويكون الطفل في هذه المرحلة حريصا على طاعة الكبار، ممتثلا الأوامرهم ونواهيهم، راغبا في الحصول على رضاهم وتقديرهم؛ ولذا فهي مرحلة هدوء من الناحية الانفعالية، ثم يليها المرحلة الجنسية الذي يحصل فيها الفرد السوي على لذته من الاتصال الجنسي بأحد أفراد الجنس الآخر من الراشدين، حيث تتكامل الميول الفمية والشرجية لتبلور الجنسية السوية (المرجع السابق: ٢٦٨؛ وصلاح مخيمر، ١٩٩٩: ٦١).

وبناء على ما سبق "تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عملية مهمة جدا؛ إذ إنها تكيف الطفل البيئته الاجتماعية، وتشكله على صورة مجتمعية، وتصيغه في القالب والشكل الذي يرتضيه؛ بغية تعليم الطفل الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج في ثقافته، والخضوع لالتزاماته، وتعليمه القيم السائدة، ومجاراة الآخرين بوجه عام، إضافة إلى كونها ضابطة لسلوك الفرد وكفه عن الاعمال التي لا يقبلها المجتمع وتشجيعه على ما يرضاه منها؛ حتى يكون متوافقا مع الثقافة التي يعيش فيها" (أمل كاظم، ٢٠١١: ٦٥)

ولما كان الأبوان يمدان الطفل بالنموذج الذي يحتذى به فإن تأثيرهما يكون كبيرا على تكوين القيم الأخلاقية لديه، ومن أظهر علامات تقمص الطفل للنماذج اتخاذه السلوك والدوافع والاتجاهات ومفهوم الذات الخاصة بهذا النموذج، وأهم عمليات التقمص تكوين ما يسمى بالضمير (سعد جلال، 1985؛ AL Shammary & Al ، 2008 Hooly). ولما كانت الهي ID في تركيب الجهاز النفسي (الشخصية) – كما حددها فرويد – هي مستودع الرغبات والغرائز والمكبوتات التي فصلتها المقاومة عن الحياة النفسية الشعورية، ولما كان هدفها الوحيد هو الحصول على اللذة وتفريغ الطاقة الغريزية بعيدا عن الواقع، ولما كانت منافية للأخلاق والقيم، فإن الأنا Ego – المكون الثاني في الشخصية، والذي يبدأ تكونها عند٦ ٨ شهور – تحافظ عليها وتكبح جماحها وتذعنها للواقع، وتساعدها على اكتساب معالمها النهائية، وتكون بمثابة الرقيب على الهي، فتؤجل الإشباع إلى الوقت الذي يسمح بذلك، رغم أنها ترغب في الحصول على اللذة (سيد غنيم، ١٩٨٧؛ وحامد زهران، ٢٠٠٥– أ).

ومن الخطورة بمكان أنه عندما يحتدم الصراع بين الأنا والهي، أو بين ميل يجاهد للإفراغ، وميل آخر يجاهد لمنع هذا الإفراغ؛ لمنافاته للقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، فينشأ القلق الذي ينتج عنه الصراع العصابي الذي يقع بين الحوافز – أي بين الهي والأنا – فالقلق هو أب أية مشكلة سيكولوجية للصراعات العصابية (أوتوفينخل، مترجم، ١٩٦٩).

وعندما يتشرب الأنا المعايير الأخلاقية السائدة في المجتمع يتكون الأنا الأعلى Superego (وهو الممثل الداخلي للقيم المجتمعية والدرع الأخلاقي للشخصية، وهو يمثل ما هو مثالي وليس ما هو واقعي، وهو مستودع المثاليات والأخلاقيات والمعايير الاجتماعية والقيم الدينية)؛ ما بين الثالثة والخامسة من العمر يحل الضبط الذاتي محل الضبط الصادر من الوالدين الضمير) (ك. هول، لندزي، مترجم، ١٩٧١؛ ومحمد عبدالرحمن، ١٩٩٨).

ويعد الضمير (Conscious) جزءا أساسيا من الأنا الأعلى الذي ينمو نتيجة العقاب، أي استدماج كل ما يدينه ويعاقب عليه والده، كذلك الأنا المثالية (Ideal– ego) التي تنمو نتيجة المكافأة، أي استدماج كل ما يوافق عليه والده (أمل عايز، ٢٠١٠: ٥٣).

وقد تكون الأنا الأعلى ناقصة النمو تاركة الفرد بدون ضمير رادع أو ذات مثالية، فتتكون شخصية تسير في اتجاه معاكس، تنظر إلى ما هو شرعي على أنه غير شرعي، وما هو غير شرعي على أنه شرعي، وبالتالي يكون الضمير لدى هذه الشخصية دائم النقد والعقاب للأنا على سلوك شرعي، وإن هذا العذاب الضمير اللاشعورية المفرط قد يكون سببا في سلوك محظور أو في الانتحار (محمد عبدالرحمن، ١٩٩٨: ٦٠).

ومما يجدر ذكره ونحن نتحدث عن نظرية التحليل النفسي أن التحليل النفسي قد اتهم بمنافاته القيم الأخلاقية، وإن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف يهتم بمرحلة الطفولة في تنمية القيم الأخلاقية لدى الأفراد وهو بعيد كل البعد عن الأخلاق؟!! ويرد دانييل لاجاش (ب. ت، مترجم: ٢٢٣ – ٢٢٥) على هذا الزعم قائلا: "ويرجع اتهام التحليل النفسي بمنافاته للأخلاق إلى سوء الفهم، ذلك بأن على المحلل النفسي أن يحتفظ بموقف تقبلي خال من كل استنكار، بإزاء ما يبديه المريض، ويعمل التفسير على فض دفاعات الأنا والإثم العصابي،.. وهذا ينشئ أحيانا سوء فهم مؤداه أن على التحليل أن يخلص المريض من كل إحساس بالإثم، وأن يسمح له بفعل كل ما يراوده، والحقيقة إنه يتعين التمييز بين الإثم العصابي والإثم المبني على الواقع، ويدل الفساد والتحلل من كل قيد على حالة مرضية هي التغير في كيان الأنا بتأثير الهي... ولا مراء في وجود نظام معين من القيم متضمنا في العلاج بالتحليل النفسي، شأنه في ذلك كل عمل إنساني، بما في ذلك البحث عن الحقيقة في العلوم".

تعليق:

يؤكد فرويد في نظريته للتحليل النفسي على أهمية مرحلة الطفولة وخاصة السنوات الأولى من عمر الطفل والتي فيها يكتسب الطفل القيم الأخلاقية عن طريق توحده مع الوالدين واللذين ينقلان له قيم المجتمع الأخلاقية، ومن هنا ينبغي الاهتمام بغرس قيم الصدق، والأمانة، والإيثار، والصبر، وتحمل المسئولية، والتسامح في نفوس الأفراد منذ طفولتهم؛ لأنها قيم عالمية نادت بها كل أديان السماء، ولأن من شب على شيء شاب عليه، وتظل جذور هذه القيم الأخلاقية ممتدة في حياة الإنسان، يستمد منها العون والمدد الإلهي، الذي يجد فيه ملاذا لكل همومه وأحزانه.

وإن غرس هذه القيم الأخلاقية السابقة في نفوس الأفراد منذ طفولتهم، يحميهم من الوقوع في دوامة القلق، والذي يعد معضلة لكل المشكلات النفسية، أو بالأحرى هو منشأ وبداية لكل المشكلات النفسية.

وينبغي أن يكون الوالدان حريصين كل الحرص على التطبيق الفعلي لهذه القيم الأخلاقية قولا وفعلا (عملا)؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وكذا عليهما مساعدة أبنائهم في اختيار الرفقاء الصالحين الذين يساهمون في نمو هذه القيم الأخلاقية لديهم، فللأقران دور لا يقل أهمية عن دور الوالدين في تنمية القيم الأخلاقية لدى الأفراد، وهذا ما أكده توماس (Thomas، 2011) في دراسته، وكذلك تعويد الوالدين لأبنائهم على التعلق بدور العبادة (المسجد، الكنيسة، ..) لأنها تساهم في نمو هذه القيم الأخلاقية لديهم بشكل كبير. وكما أن للأسرة وللأقران، ودور العبادة دورا مهما في نمو القيم الأخلاقية لدى الأفراد، فكذا للمؤسسات التعليمية على اختلافها (المدرسة، الجامعة، المعهد،... إلخ) دور بارز في إكساب هذه القيم الأخلاقية ونموها لدى الأفراد.

ثانيا: النظرية السلوكية Behavioral Theory:

تنطلق النظرية السلوكية من الاهتمام الرئيس بالسلوك: كيف يتعلم؟ وكيف يتغير؟ ويري أصحابها أمثال: هيل (Hull)، وسكنر (Skinner)، وهوفلان (Hovlan)، ودولارد وميل (Dollard & Miller) أن معظم سلوك الإنسان متعلم، وأن الفرد يتعلم السلوك

السوي والسلوك غير السوي، ويعطون أهمية كبيرة للتعزيز في عملية التعلم، فالسلوك الذي يتعلمه الفرد يقوي ويستمر ويدعم ويثبت إذا عقبه تعزيز أو إثابة، (والتعزيز قد يكون إثابة أولية مثل إشباع دافع فسيولوجي، أو إثابة ثانوية مثل (زوال الخوف)، ويضمحل السلوك ويتضاءل ويخمد (ينطفئ) إذا عقبه عقاب، أو لم يعزز (تجاهل) (حامد زهران، ٢٠٠٥- أ: ١٠٢ – ١٠٤).

ويرى فريدمان (Freedman، 1978: 208) أنه قد يؤدي العقاب السلوك قيمي مرغوب فيه إلى إحداث أو تقوية السلوك القيمي غير المرغوب فيه، فيغير من نظرة الأفراد نحو العالم، لذلك يرون أن العالم غير آمن وغير مشبع لحاجاتهم بسبب ما يواجهونه من صعوبات عند قيامهم بسلوك إيجابي وفق القيم التي آمنوا بها واكتسبوها، وبذلك فإنهم يغيرون من قيمهم كي يتجنبوا الإحساس بالألم نتيجة العقاب لسلوكهم القيمي، وإذا ما حصلوا على تعزيز إيجابي لسلوكهم القيمي الجديد فإنهم سيكررون هذا السلوك (في: أمل عايز، ٢٠١٠: ٥٤).

أما نظرية التعلم بالنمذجة (Modeling Learning) – ورائدها باندورا Bandura – فإنها توجه الأنظار إلى عملية الملاحظة وأهميتها في تعلم السلوك، فالإنسان يتعلم الاستجابات الجديدة من خلال ملاحظة الآخرين (توما خوري، ١٩٩٤: ١٠٣).

ويرى باندورا Bandura أن السلوك ليس في حاجة إلى تعزيز ولا يلزم ممارسته لكي يحدث تعلمه؛ فأسلوب النمذجة (أو الملاحظة) ليس مجرد إجراء علاجيا، فأغلب ما يتعلمه الإنسان يتم بالملاحظة، حتى لدى الأطفال، حيث تؤدي الملاحظة الدقيقة لسلوك الآخرين وما يترتب على هذا السلوك لهم إلى تعلم مثل هذا السلوك (محمد عبد الرحمن، ١٩٩٨).

فالسلوك إذا كما يرى باندورا Bandura يمكن اكتسابه دون استخدام للتعزيز الخارجي، فنحن نتعلم كثيرا من سلوكنا الذي نظهره من خلال تأثير القدوة أو المثل، إننا

ببساطة نلاحظ الآخرين يعملون، ثم نكرر أفعالهم – أي إننا نكتسب السلوك عن طريق التعلم بالملاحظة – (جابر عبد الحميد، ١٩٩٠: ٤٣٢).

وفي ضوء هذه النظرية فإن القيم الأخلاقية تتكون عند الفرد عن طريق التعلم متضمنة التعلم عن طريق النمذجة أو الملاحظة والتقليد، والملاحظة تعلمنا النتائج المحتملة للسلوك الجديد؛ لأننا نلاحظ ما يحدث عندما يقوم به الآخرون، ويسمي باندورا Bandura هذه العملية بالتدعيم البديل، والتدعيم البديل هو عملية معرفية، فنحن نقيم توقعات حول النتائج المترتبة على سلوكنا دون أن نقوم بأي عمل من جانبنا، كما أننا نتعلم القيم من خلال نماذج مختلفة الأنواع، ليس فقط من نماذج حية، بل وأيضا من نماذج رمزية، كتلك التي نراها في التليفزيون أو نقرأ عنها في كتاب (وليام كرين، مترجم، ١٩٩٩: ٢٣٠).

تعليق:

إذا كانت المدرسة السلوكية تؤكد على أن بقاء السلوك لدى الفرد واستمراره، أو اضمحلاله واختفاءه مرهون بما يعقبه من تعزيز (إيجابي، أو سلبي)، أو عقاب، أو تجاهل فإنه ينبغي توجيه أنظار كل من يتعامل مع الفرد وخاصة الطفل إلى خطورة هذه المسألة، والحرص كل الحرص على تعزيز السلوكيات الإيجابية والقيم الأخلاقية وخاصة قيم: الصدق والأمانة والصبر والإيثار والتسامح وتحمل المسئولية، وعدم تجاهل هذه القيم الأخلاقية المهمة؛ فغرسها في مرحلة الطفولة وتعزيزها يجعلها متغلغلة في نفوس الناشئة وثابتة لديهم، فيمرون من مرحلة عمرية لأخرى ولديهم درع واق من القيم الأخلاقية التي تحميهم من مشكلات الحياة عامة ومشكلات المراحل العمرية التي يمرون بها خاصة.

وإذا كان السلوكيون أمثال باندورا Bandura، وولترز Walters يؤكدون على دور النمذجة أو التعلم بالملاحظة في اكتساب السلوك أو في تعلم القيم، فإن أول نموذجين في بادئ حياة كل إنسان هما الوالدان، فمن خلال عملية التنشئة الاجتماعية يكتسب من هذين النموذجين كل الصفات والقيم الأخلاقية، ومن هنا كان لزاما على

الوالدين أن يكونا خير نموذجين لغرس القيم الأخلاقية في أبنائهم، وإن فاقد الشيء لا يعطيه، فإن تخلى النموذجان (الوالدان عن المبادئ والقيم الأخلاقية وجدا لذلك مردودا سلبيا في سلوك أبنائهم، والعكس بالعكس تماما، إضافة إلى هذا فإن للمهتمين بالتربية في المؤسسات التعليمية دورا عظيم الأهمية في اختيار النماذج المشرفة المتمتعة بالخلق والمبادئ والتي تتولى تعليم الأبناء؛ لتغرس فيهم القيم الأخلاقية والمبادئ؛ ليتنقلوا عبر مسارهم النمائي بكل ثقة واطمئنان.

ثالثا: النظرية النمائية المعرفية (بياجيه وكولبرج):

Cognitive Developmental Theory (Piaget & Kohlbergm)

تنظر المدرسة المعرفية التطورية إلى أن اكتساب القيم الأخلاقية ليس محاكاة لنموذج اجتماعي، أو إذعانا لقواعد معينة، وإنما تؤكد أن الخلق ينشأ في محاولة الفرد تحقيق الاتزان أو التوازن في علاقاته الاجتماعية وقدراته العقلية، ويعتبر بياجيه Piaget من أوائل رواد هذه المدرسة، وقد أبدى اهتماما في بعض دراساته بنمو الحكم الخلقي عند الأطفال، وطريقتهم في التفكير حول الأسئلة التي تتعلق بالصواب والخطا وفهمهم للقوانين الاجتماعية (عادل الأشول، ١٩٩٦: ٩١؛ وكامل عويضة، ١٩٩٦: ٨٣ – ٨٤).

ويرى أصحاب هذه النظرية وعلى رأسهم جان بياجيه ولورانس كولبرج أن النمو الخلقي للفرد كالنمو المعرفي، يمر بسلسلة من المراحل المتتالية والمتتابعة (عادل الأشول، ١٩٩٦ : ٩١). وقد أوضح بياجيه Piaget أن الأطفال بغض النظر عن ثقافتهم أو مستوى ذكائهم أو طبقاتهم يمرون بمرحلتين مهمتين من مراحل النمو الخلقي (بدليل أن معظم تجاربه على الأطفال شارك فيها أطفال من ثقافات مختلفة، ومن طبقات اجتماعية مختلفة) هما:

المرحلة الأولى: الواقعية الأخلاقية (Moral Realism ٣– ٧ سنوات): وفيها يكون الطفل محكوما بكل ما يقوله الآخرون فيما يتعلق بالحق والباطل، ويعده مقدسا وإجباريا، ومهما من الناحية الأخلاقية.

المرحلة الثانية: الاستقلالية الأخلاقية (Moral Autonomy٧ –١٠ سنوات): وهي مرحلة الحكم الذاتي، وفيها يصل الفرد إلى القدرة على اتخاذ قراراته حول الصواب والخطأ والحق والباطل (جان بياجيه، مترجم، ب. ت؛ وعبداللطيف خليفة، ١٩٩٢؛ Thompson, 2011)

ويرى بياجيه Piaget أن اكتساب القيم يكون على أساس التغير في البناء المعرفي، ويرى أن القوانين والقواعد ليست مطلقة أو جامدة بل مرنة وقابلة للتغيير، وأن الطفل لا يحتاج إلى الكبار في تطوير قيمه وأخلاقه وإنما التفاعل مع بيئته وأقرانه (كامل عويضة، ١٩٩٦: ١٢– ٨٤؛ ووليام كرين، مترجم، ١٩٩٩: ١٨٠).

في حين يرى كولبرج Kohlberg – الذي طور وتلامذته نظرية بياجيه – أن الناس يمرون من خلال ثلاثة مستويات من التطور الأخلاقي وصولا إلى النضج الخلقي على النحو الآتي:

١– **مستوى ما قبل التقليدي (ما قبل الأخلاق المتفق عليها، ٤– ١٠ سنوات):** وفيه يكون الطفل أنانيا وعاجزا عن إدراك حاجات الآخرين، وغير مراع للقيم والقواعد الأخلاقية السائدة، وينقسم إلى مرحلتين مهمتين:

أ) التوجه نحو الطاعة والعقاب: وفي هذه المرحلة يعتقد الطفل أن ما تقوله السلطة هو الصحيح، ويطيع السلطة طاعة عمياء ليتجنب العقاب.

ب) التفرد والتبادل : وفي هذه المرحلة لم يعد الأطفال شديدي التأثر بمصدر وحيد للسلطة، حيث يرون أن لكل قضية جوانبها المتعددة، وطالما أن كل شيء نسبي، فإن لكل الفرد حريته في أن يتبع ما يحقق مصالحه، رغم أنه غالبا ما يكون مفيدا عقد الصفقات وتبادل المصالح مع الآخرين – أي التوجه نحو المنفعة الشخصية–.

٢– **المستوى التقليدي (الأخلاق المتفق عليها، ١٠– ١٨ سنة):** وعندما يدخل الطفل في هذا المستوى يكون قد أصبح أكثر وعيا بمصالح الأحرين، ويتكون من مرحلتين:

أ) **العلاقات الجيدة بين الأشخاص:** وفي هذه المرحلة يصبح الطفل شخصا جيدا له دوافع تدفع لمساعدة الآخرين ممن حوله.

ب) **الاحتفاظ بنظام اجتماعي:** وفي هذه المرحلة يتحول الاهتمام لطاعة القوانين لخدمة المجتمع ككل.

٣- **مستوى ما بعد التقليدي (ما بعد الأخلاق المتفق عليها، ١٨ سنة فأكثر):** وعندما يصل الفرد إلى هذا المستوى يكون قد كون مجموعة من المبادئ والأخلاق المقبولة ذاتيا، وينقسم إلى مرحلتين:

أ) **العقد الاجتماعي وحقوق الإنسان:** وتؤكد هذه المرحلة على الحقوق الأساسية والأساليب الديمقراطية التي تعطي كل فرد حق التعبير.

ب) **المبادئ العامة:** وفيها يتم تحديد المبادئ التي تكون محل اتفاق، والتي تتصف بالإدراك المنطقي الشامل والقيمة العليا التي توضع في حياة الإنسان، والمساواة والشرف والكرامة.(في: عادل الأشول، ١٩٩٩؛ ووليام كرين، مترجم، ١٩٩٩؛ Abdullah et al.، ؛ ٢٠١٠). Thompson, 2011؛

ويتفق كولبرج Kohlberg وبياجيه Piaget في وجود علاقة إيجابية بين العمر الزمني والمرحلة الأخلاقية التي يكون عليها الطفل، وأن المراحل الأخلاقية مثل المراحل المعرفية تبدو كأنها نتاج لتفاعل الفرد مع بيئته، وأن ازدياد النمو في التفكير الخلقي لا يحدث من خلال التعليم المباشر – أي إنه لا يمكنه أن يتعلم من خلال نماذج الدروس التعليمية التقليدية – ولكنها تنمو من خلال عمليات مركبة معقدة تتضمن عوامل أخرى مثل التفاعل مع الآخرين، وأشار كولبرج Kohlberg إلى أن معظم الأفراد في مجتمعنا لا يصلون إلى المرحلة الأعلى من النمو الأخلاقي، وهي الأخلاقية المعتمدة على المبادئ الأخلاقية العالمية، حيث إن ٥ : ٦% منا قد يبلغون هذا المستوى الأعلى من الأخلاقية (عادل الأشول،١٩٩٦:٩١).

تعليق:

وإذا كانت النظرية المعرفية النمائية تؤكد على أن الفرد لا يكتسب القيم الأخلاقية دفعة واحدة، ولكنه يكتسبها من خلال مروره بسلسلة من المراحل التي يتعرض لها عبر مساره النمائي، قصرها بياجيه Piaget في مرحلتين اثنتين، وطورها كولبرج Kohlberg وأفرد لها ثلاثة مستويات متضمنة ست مراحل أساسية؛ فإنه ينبغي التأكيد على مساعدة الأفراد (تأتي المساعدة من كل من يتعامل مع الطفل، وخاصة الأسرة، وجماعة الأقران) على تخطي كل مرحلة بأمان، وإحاطتهم بسياج من الأمن النفسي والانفعالي؛ حتى ينتقلوا إلى المرحلة التالية؛ لأنه لا يمكنهم التخطي إلى المرحلة التالية وقد عجزوا عن تحقيق أهداف المرحلة السابقة، ومن ثم فلن يحققوا ما تربوا إليه من التوصل إلى قمة الأخلاق والمبادئ. وعلى ضوء ما سبق فإن تدني القيم الأخلاقية لدى المراهق إنما هو راجع بدرجة كبيرة إلى مرحلة الطفولة، وأخطاء في التنشئة الاجتماعية، وإهمال الطفل وعدم الاهتمام بغرس القيم والمبادئ الأخلاقية لديه منذ نعومة أظافره.

خامسا: خصائص القيم الأخلاقية Characteristics of Moral Values:

كما تعددت وجهات النظر حول مفهوم القيم الأخلاقية كان من الطبيعي أن تتعدد وجهات النظر حول خصائص القيم الأخلاقية، فثمة من يضع لها خصائص إسلامية بحتة، وثمة من يحدد لها خصائص اجتماعية، وثمة من يضع لها خصائص اجتماعية عقائدية، وتتمثل أهم خصائص القيم الأخلاقية – كما تبناها الباحث في دراسته – فيما يأتي:

- **التدرج التكليفي:** وهي سمة من سمات الوجود الحي، فخلق الأحياء يتكامل تدريجيا نطفة، فعلقة، فمضغة، فعظام تكسي لحما، والكائن الحي بعد أن يرى نور الحياة يتدرج به الوجود من رضيع إلى طفل إلى شاب إلى كهل إلى شيخ (جابر قميحة، ١٩٨٤: ٤٢).

وهذا يعني أن القيم الأخلاقية لم تفرض على العباد دفعة واحدة، وإنما على مراحل متتابعة، فلو فرضت دفعة واحدة قبل تهيئة العقول والقلوب لها، ما لقيت قبولا من الناس،

وهذا التدرج يمكن أن يتضح في تحريم الخمر، لم يات النهي القاطع فيه إلا بعد سلسلة من المراحل؛ كل مرحلة لها دورها في تهيئة العقل والقلب للمرحلة التالية.

- **ربانية الهدف والمصدر:** فالوحي الإلهي هو الذي حدد أسسها، ووضع أصولها على منهج متسق مع فطرة الخلق وأصل الوجود الإنساني.
- **إنسانية الأبعاد:** إذ إن المكلفين بها بشر.
- **شمولية النطاق:** فالقيم الأخلاقية شاملة لكافة جوانب الحياة الإنسانية؛ لتنظيم حياة الإنسان ووجوده.
- **واضحة المعالم وثابتة الأسس:** فالقيم الأخلاقية معالمها واضحة وأسسها ثابتة، تتجلى فيها معالم إنسانية الإنسان، وتحفظ كرامته، وتحقق أمنه (عبدالوهاب الشيشاني، ١٩٨٨: ٩٩ – ٧٣)
- **لا تتغير القيم الأخلاقية** : ولا تتبدل مهما تطورت حياة الإنسان واختلفت أساليب تفكيره ومعيشته (محمد حتة، ١٩٨٣؛ وإمام عبد الفتاح، ٢٠٠٢).
- **القيم الأخلاقية ضرب من النظام المتعالي على الواقع** يستمد قيمته من إرادة الله، ويهدف الإنسان من ورائها إلى كسب رضاء ربه (صلاح رسلان، ١٩٩٠: ١٣٧).
- **القيم الأخلاقية قيم داخلية:** حيث إنها تنظر إلى حالة الشخص الباطنية أو نواياه، فعلى سبيل المثال قد ينفق الفرد ماله في وجه من وجوه الخير، وهو عمل قد يتفق تماما مع مقتضي الأخلاق، وقد يختلف معه على حسب نية المتبرع (إمام عبد الفتاح، ٢٠٠٢: ٨٢).
- **تتصف القيم الأخلاقية بالعمومية؛** فهي ليست قاصرة على بعض الأفراد في المجتمع وفي زمن دون زمن، ولا هي مرتبطة بأشخاص مثاليين يرقي الواحد منهم بنفسه وروحه ليكون في عداد الأخيار الأطهار، ولكن يدخل تحت مظلتها كل الأفراد وكل المجتمعات، فهم مأمورون بالتمسك بها.
- **الإيجابية:** فهي منفتحة على أبواب الخير لكل الناس.
- **الملاءمة للفطرة:** فالقيم الأخلاقية تلائم الفطرة السليمة والطبيعة البشرية.

- **الواقعيـة:** فهي ليست ضربا من المثاليات ولا هي من قبيل الخيال الذي يعلو على الواقع ولا يمكن تحققه وتنفيذه في ميدان الحياة، إنما هي ممارسات راقية تتحقق في واقع البشر بالفعل. (مانع المانع، ٢٠٠٥: ١٠٧ – ١٦٤)

تعليق:

على ضوء ما سبق فإن الباحث يرى أن القيم الأخلاقية التي يتبناها في دراسته لها أيضا الخصائص الآتية:

- قيم إنسانية عالمية صالحة لكل زمان ومكان. : قيم متكاملة وشاملة، لا يشوبها عيب أو نقص؛ لأنها من وضع إلهي، لا دخل للبشر فيها.
- قيم ثابتة المصدر، فمصدرها ثابت لا يتبدل عبر الزمان والمكان؛ فما يقرره الله ويفرضه لا دخل للبشر فيه إلا أن يذعنوا ويسلموا لرب البشر طوعا وكرها.
- تشكل جزءا أساسيا من العقيدة (سواء كانت عقيدة إسلامية، أو نصرانية، أو يهودية) ويعد البعد عنها مخالفة واضحة للعقيدة، تستلزم الذم في الدنيا، أو التعزير، والعقاب في الآخرة.
- لها صفة الديمومة والاستمرار، لتسيير شئون الإنسان وتحقيق غاية الغايات من وجوده وهي الخلافة في الأرض.
- قيم لها قدسيتها، ولم لا وقد أمرت الأديان السماوية بالالتزام بها، وكذلك أمر جميع الأنبياء بذلك.

سادسا: أهمية القيم الأخلاقية The Importance of Moral Values:

في الحقيقة إن القيم الأخلاقية لهي معاقد ثابتة تعقد بها الروابط الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات، ومتى انعدمت هذه المعاقد في الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكانا تنعقد عليه، وإن انهيار كل خلق من مكارم الأخلاق يقابله دائما انقطاع رابطة من الروابط الاجتماعية، وبانهيارها جميعا تنهار جميع المعاقد الأخلاقية في الأفراد،

وبذلك تنقطع جميع الروابط الاجتماعية، ويصبح المجتمع مفككا منح (عبدالرحمن الميداني، ١٩٩٩: ٣٥ – ٣٧). وتتضح أهمية القيم الأخلاقية فيما يلي:

أولا: أهمية القيم الأخلاقية بالنسبة للفرد:

للقيم الأخلاقية أهمية عظمى بالنسبة للفرد، نوجزها في النقاط الآتية:

- تكون القيم الأخلاقية جزءا لا يستهان به في الإطار المرجعي للسلوك في الحياة العامة في مجالاتها المختلفة اجتماعيا، واقتصاديا، وسياسيا.. إلخ (حامد زهران، ١٩٨٤: ١٢٧).
- تحقق القيم الأخلاقية الكثير من الأهداف النبيلة منها سعادة النفس، ورضا الضمير، وترفع شأن صاحبها في الدنيا والآخرة (سلمان آل الشريف، ٢٠١٢: ٦).
- تحقق القيم الأخلاقية التوازن النفسي والجسمي والروحي والفكري والعاطفي للفرد (Masmuzidin et al., 2012: 315)
- تقي القيم الأخلاقية الأفراد من الوقوع في السلوكيات المنحرفة، أو السلوكيات المحفوفة بالمخاطر (Wilson ؛ 2011 ، Thomas ؛ 2011).
- تحقق للفرد التحرر من الشعور بالخوف على الحياة، أو الخوف على الرزق، أو الخوف على المكانة والمركز، فالحياة بيد الله، ليس لمخلوق قدرة على أن ينقص هذه الحياة ساعة أو بعض ساعة (عبدالمجيد بن مسعود، ١٩٩٨: ١٢٧).
- تساعد الفرد على التمييز بين الخير والشر، وتقلل من مستوى القلق لدى الأفراد (Elias، 2011).
- تخلق المواطن الصالح الشاعر بكرامته وعنفوانه (محمد شيخاني، ١٩٩٧: ٤٠).
- إن التخلي عن القيم والفضائل الأخلاقية يؤدي إلى اضطراب عاطفة الفرد، ويتعذر عليه الوصول إلى الحافز الذي دفعه إلى هذا العمل، مما قد يكون بداية الطريق إلى المرض النفسي (لورنس جولد، ١٩٩٦، مترجم: ٢٠).
- لا تستقيم حياة الإنسان إلا باكتساب القيم الأخلاقية والتي تنظم سلوكه وحياته (أبوبكر التلوع، ١٩٩٥: ٢١).

- تلعب القيم الأخلاقية دورا مهما في تشكيل الشخصية الإنسانية خاصة في سنواتها الأولى (هويدا محمد، ٢٠٠٨: ٢).

تعليق:

يرى الباحث أن انخفاض القيم الأخلاقية لدى الفرد يولد لديه المشكلات والاضطرابات النفسية؛ إذ إن هذه القيم الأخلاقية مفروضة من قبل العظيم الأعظم سبحانه وتعالى، ومن ثم فإن بعد الفرد عن هذه القيم الأخلاقية يولد لديه شعور بالذنب وتأنيب الضمير واللوم، فيضع نفسه في مأزق نفسي كفيل بأن يخلق شخصية مفككة نفسيا، لا تجد للحياة نوعية، بل ربما تقدم على الانتحار، وعلى هذا الأساس فإن الباحث يرى أن القيم الأخلاقية لها أهمية كبرى بالنسبة للفرد حيث تحميه من الوقوع في مغريات الحياة، ومن الوقوع فريسة للمشكلات والاضطرابات النفسية، وتحقق له السعادة والرضا، وقدرا كبيرا من التفاؤل والأمل في الحياة، إضافة إلى كونها إطارا مرجعا حاكما وموجها لسلوكياته، وتقربه من ربه ويصل بها إلى مرضاته.

ثانيا: أهمية القيم الأخلاقية بالنسبة للمجتمع:

تتضح أهمية القيم الأخلاقية بالنسبة للمجتمع فيما يأتي:

- تحدد وتنظم النشاط الاجتماعي لكافة أفراد المجتمع (سهير أحمد، ٢٠٠٠: ٧٢).
- تصنع مجتمعا متماسك البنيان، راسخ الأركان، سائرا إلى الأمام، مضطرد النمو (عبد المجيد بن مسعود، ١٩٩٨: ١٣٢).
- تزود المجتمع بمقومات أصيلة لبناء كيانه ومواجهة تحديات أعدائه (محمد حتة، ١٩٨٣: ١٠)
- تقوي عاطفة الحب بين أفراد المجتمع (Elias، ٢٠١١).
- تسهم القيم الأخلاقية في تكوين وتمكين المجتمع من تجاوز وهنه الحضاري، وتحقيق نهضته الحضارية المرجوة (بلقيس داغستاني، ٢٠١٠: ٢٦).

- تساعد في تحقيق التوافق للمجتمع ككل مع ما يصادفه من مستجدات حضارية فكرية أو علمية، وبالأخص ما يصادفهم من مستحضرات الاختراعات الهائلة العدد في الكيفية والشكل والمضمون.
- إذا فقدت القيم الأخلاقية في المجتمع ترتب عليها عدم انسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، وتصارع الناس فيما بينهم، وتناهبوا مصالحهم، مما يؤدي بهم هذا إلى الانهيار ثم الدمار (محمد شيخاني، ١٩٩٧: ١٨ ، ٣٣).
- تحقق القيم الأخلاقية للأفراد داخل المجتمع الإحساس بالأمان، وتعطي لهم الفرصة في التعبير عن أنفسهم، بل وتساعدهم على فهم العالم المحيط بهم، وتوسع إطارهم المرجعي في فهم حياتهم وعلاقاتهم (سليمان موسى، وعايد الخوالدة، ٢٠٠٧: ١٨٥).
- تنأى بالمجتمع عن الرذائل، فتقوده إلى الحياة الفاضلة السعيدة.
- تقود القيم الأخلاقية إلى الحياة الفاضلة السعيدة، وإذا كانت الأمم في المرحلة الحديثة تتفاضل بالعلم والتقنية، فإنها تتفاضل في المرحلة المتحضرة بالقيم الأخلاقية (أبوبكر التلوع، ١٩٩٥: ٢١).

تعليق:

يرى الباحث أن انخفاض القيم الأخلاقية في أي مجتمع من المجتمعات لهو مؤذن بهلاك المجتمع؛ إذ إن انخفاضها كفيل بخلق مجتمع مفكك متناحر، ولم لا وقد بعد المجتمع عما رسمه الله له لتسيير شئونه؟ ومن هنا فإن الباحث يرى أن القيم الأخلاقية مهمة جدا بالنسبة للمجتمع حيث تخلق مجتمعا متماسكا متعاونا متحابا، وتساعد في تقدم المجتمع ورقيه، وترفع شأنه ومكانته بين الأمم، وتحميه من الانحلال والانحراف على اختلاف ضروبه، كالانحراف الفكري، والانحراف السلوكي، والانحراف الجنسي... إلخ، إضافة إلى إضفاء السعادة الحقيقية داخل المجتمع، وتحقيق الأمن والأمان والطمأنينة داخل المجتمع، وتنقية المجتمع من الغل والحقد والأنانية، والشهوات المفرطة المهلكة.

ويلخص الباحث أهمية القيم الأخلاقية للفرد والمجتمع معا، حيث يرى أن لها أهميتها في التطور الاجتماعي للفرد والمجتمع، وتحقق لهم الأمن والأمان والاستقرار،

والسعادة، والتوافق النفسي والاجتماعي، إضافة إلى بناء أفراد متحابين متماسكين كالجسد الواحد، وبناء مجتمع متماسك أيضا غير متناحر، يتخذ من القيم والأخلاق سلاحا وعونا ينير طريقه في عصر ازدحم بكافة الاختراعات وأنماط التكنولوجيا؛ ليحقق تقدما علميا مقترنا بتقدم خلقي عالمي.

سابعا: مصادر القيم الأخلاقية Sources of Moral Values:

تستمد القيم الأخلاقية بقاءها وصلاحها، وتكاملها وشمولها، ووسطيتها وتوازنها، وأصالتها ومعاصرتها، وواقعيتها وقابلية تطبيقها، وعالميتها وإنسانيتها من مصادر ثابتة، صالحة لكل زمان ومكان، ليست من وضع البشر واجتهاداتهم البشرية التي يشوبها الحظوظ الإنسانية، ويشوبها المصالح الذاتية مهما كانت الحيادية، ومهما كانت المعايير دقيقة لدى الواضع. (عوض الحسني،٢٠٠٧ : ١٤٩)

فالقيم الأخلاقية أصولها ثابتة باقية لا تقبل النقض أو التعديل، باعتبارها مؤسسة على دواعي الفطرة في الكيان البشري، والفطرة التي فطر الله الناس عليها غير قابلة للتبديل والتغيير.

وجاء في الكتاب المقدس (العهد الجديد) عن عدم تبديل كلمات الله « السماء والأرض تزولآن ولكن كلامي لا يزول » (إنجيل متى، ٢٤: ٣٥).

ويشير الباحث إلى أنه رغم ثبات أصول القيم الأخلاقية ومصادرها إلا أن كثيرا من البشر قد حرفوها وشوهوها ومسخوها لهواهم.

ولقد تعددت وجهات النظر حول مصادر القيم الأخلاقية؛ نتيجة لاختلاف وجهات النظر حول مفهوم القيم الأخلاقية ذاتها، فثمة من ينظر للقيم الأخلاقية من وجهة نظر إسلامية بحتة ويضع لها مصادر إسلامية ثابتة تخصها، وثمة من ينظر إليها من وجهة إسلامية ووضعية معا، ومن ثم يضع لها مصادر إسلامية ومصادر بشرية، وثمة من ينظر إليها عند غير المسلمين، ويضع لها مصادرها، وثمة من ينظر إليها من وجهة نظر

فلسفية، وثمة من ينظر إليها من وجهة اقتصادية، وثمة من ينظر إليها من ناحية ذاتية (فردية) ويتضح ذلك فيما يأتي:

يرى إيلسي وآخرون (Elqi et al.، ٢٠١١) أن الدين، والفلسفة، و المجتمع، والضمير اليقظ عناصر أساسية لاشتقاق الأخلاق.

في حين يرجع أوجيست (Ojist، 1857) القيم الأخلاقية إلى المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد، وأرجعها الماركسيون وعلى رأسهم فردريك إنجلز (Frederick Engels ، 1895)، وكارل ماركس (Karl Marx، 1883) إلى الأحوال الاقتصادية، وأرجعها دعاة النزعة الإنسانية السوفسطائية قديما، ونيتشة حديثا) إلى الإنسان صانع التقييم، وأرجعها دعاة النظام الديكتاتوري (Thomas Hobbes، 1679) إلى الحاكم المستبد(في: صلاح رسلان، ١٩٩٠: ١٣٠).

ويرى محمد العبادي (٢٠٠٤) أن القيم الأخلاقية تشتق من مصادر إلهية ثابتة، ومصادر بشرية، وتمثلت أهم هذه المصادر فيما يأتي:

- **الدين الإسلامي:** وفيه القرءان الكريم هو المصدر الأساسي للقيم الأخلاقية.
- **اللغة العربية:** وهي مأخوذة من القرءان الكريم، وحملها القرءان شحنة واسعة من القيم والمبادئ الأخلاقية، فهي لغة عقيدة، ولغة ثقافة، ولغة خطاب وتواصل.
- **التراث العربي الإسلامي:** فهو تراث حي يؤثر في الحاضر بصورة حقيقية.
- **العادات والتقاليد:** وهي من الدعامات الأساسية التي يقوم عليها التراث الثقافي لأية أمة أو شعب، فكل مجتمع يضع لنفسه مجموعة من الممارسات والإجراءات التي يمارسها ويزاولها الأفراد لتنظيم أمورهم، والتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم؛ لتحقيق أهدافهم.

في حين يرى جابر قميحة (١٩٨٤: ٥٧) أن القيم الأخلاقية اليهودية تشتق من ثلاثة مصادر رئيسة هي:

- **المصدر الأول:** التوراة: وهي مجموعة الأسفار التي يقال إنه أوحي بها إلى موسى عليه السلام.
- **المصدر الثاني:** التلمود: وقد صنعه عدد من الأحبار في القرن الخامس بعد الميلاد.
- **المصدر الثالث:** الكتابات الفقهية: وهي التي وضعها فقهاء اليهود بعد القرن الخامس الميلادي.

ويرى أبوبكر التلوع (١٩٩٥: ١٢٥) أن الوحي هو المصدر الأساسي الذي يوضح شكل القيم والمبادئ التي تكون المنهج الأخلاقي للإنسان.

ويحدد عبد الوهاب الشيشاني (١٩٨٨: ٧٦) مصدرين أساسيين للقيم الأخلاقية هما:

١- النص: ويعني به القرءان الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهما مصدران مهمان للقيم الأخلاقية، وهو في هذا يتفق مع (عوض الحسني، ٢٠٠٧: ١٦٩)، و (صلاح رسلان، ١٩٩٠: ١٣٠) حيث يؤكدون جميعا أن هذين هما المصدر ان الرئيسان للقيم الأخلاقية ولا مجال للتفريق بينهما.

٢- الاجتهاد: والمصادر الاجتهادية المتفق عليها تتمثل في: الإجماع والقياس.

ويرى هنري برجسون Henri Bergson أن هناك مصدرين رئيسين للقيم الأخلاقية هما: قوة الضغط الاجتماعي، وقوة الجذب ذو الرحابة الإنسانية المستمدة من العون الإلهي، وهي قوة أوسع مدى من سابقتها (في: محمد دراز، مترجم، ١٩٩٦: ٢١).

ويحدد محمد دراز (المرجع السابق: ٣٧ ٤٧) مجموعة من المصادر للقيم الأخلاقية تتمثل فيما يأتي:

- **القرءان الكريم:** فهو كلمة الله ذاته، والمعبرة عن الإرادة الإلهية.
- **السنة النبوية المطهرة:** وهو مصدر عظيم الأهمية بعد القرءان الكريم، ويتمثل في أقوال وأفعال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إضافة إلى ما أقره.

- **الإجماع:** وهو مصدر ثالث من مصادر القيم الأخلاقية يتمثل فيما أجمع عليه علماء الأمة استنادا إلى القرءان الكريم وأحاديث النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم .
- **القياس:** وتعني وجود حالة (نموذج) نقيس عليها، وتمثل بها الحالة الجديدة، بشرط أن تكون الحالة (النموذج) ذكرت في نصوص القرءان، أو في السنة، أو في الإجماع.

في حين يرى إمام عبد الفتاح (٢٠٠٢: ٩٠) أن القيم الأخلاقية تستمد من الأفكار المستقرة في شعور الأفراد وضمير الجماعة، سواء أكان مصدرها الاعتقاد الديني، أم كان مصدرها مناهج الفلاسفة ومقاييسهم لضبط سلوك البشر.

وعلى ضوء ما سبق يرى الباحث أن القيم الأخلاقية العالمية التي تبناها في دراسته لها أربعة مصادر رئيسة هي:

- **المصدر الأول:** الأديان السماوية: وأهم مصدر فيها كلام الله رب العالمين، وهو كلام الله المنزل على أنبيائه ورسله (التوراة، والإنجيل، والقرءان) بشرط ألا يكون هناك تعارض بين القيم الأخلاقية في التوراة والإنجيل والقرءان؛ فقد نسخت كثير من القيم الأخلاقية في التوراة والإنجيل بالقرءان، وبقيت قيم أخلاقية كثيرة أقرها القرءان.

وليس نوعية هذا أن الباحث ينحاز للقرءان الكريم بحكم إسلامه وبحكم مجتمعه الإسلامي، ولكن لكي لا يكون ثمة تعارض بين القيم الأخلاقية في الكتب السماوية الثلاثة؛ لأن القرءان هو آخر الكتب السماوية نزولا، وقد نسخ قيما كانت مونوعية في الأمم السابقة، وأقر قيما أخرى، والقيم الأخلاقية التي حددها الباحث في دراسته هي محل إجماع بين الكتب السماوية الثلاثة.

- **المصدر الثاني:** أقوال الأنبياء والمرسلين المجمع والمتفق عليها بين جميع الأنبياء، والقيم الأخلاقية في الدراسة الحالية أجمع عليها كل الأنبياء والمرسلين، فهي محل اتفاق لا محل خلاف.

- **المصدر الثالث:** الإجماع: وهو ما أجمع عليه الفقهاء على اختلاف معتقداتهم على كونه قيما أخلاقية ثابتة في جميع الأديان السماوية، استنادا إلى نصوص القرءان، ونصوص الكتاب المقدس، وأقوال الأنبياء والمرسلين.
- **المصدر الرابع:** القياس: ويعني وجود حالة (نموذج) نقيس عليها، وتمثل بها الحالة الجديدة، بشرط أن تكون الحالة (النموذج) ذكرت في نصوص القرءان، وفي نصوص الكتاب المقدس معا، أو نادى بها الأنبياء جميعهم، أو تم الإجماع عليها.

ثامنا: الفروق بين الجنسين في القيم الأخلاقية

Gender Differences in Moral Values :

لم تتفق الدراسات السابقة التي درست متغير القيم الأخلاقية لدى المراهقين بشأن الفروق بين الجنسين في القيم الأخلاقية، فثمة من يؤكد عدم وجود فروق بينهما ترقى إلى مستوى الدلالة، وتمثل ذلك في دراسة كل من: أشرف عبد القادر (١٩٨٦)، وأحمد عبدالخالق (Khalek 2010 – Abdel ،)، وأمل عايز (٢٠١٠)، وسوريندر (2012 Surinder،)، وآمال الفقي (٢٠١٣)، ومؤمن الجموعي (٢٠١٣).

واتفقت دراسة كل من: نظمي أبومصطفي ومحمود أبودف (٢٠٠٠)، وحسام هيبة (٢٠٠٥) في عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في بعض أبعاد القيم الأخلاقية تمثلت في: (٣٢) فضيلة أخلاقية في دراسة نظمي أبومصطفي ومحمود أبودف (٢٠٠٠)، وفي: (علاقة الفرد مع نفسه) في دراسة حسام هيبة (٢٠٠٥).

وكذا اتفقت أيضا دراسة كل من: نظمي أبومصطفي ومحمود أبودف (٢٠٠٠)، وحسام هيبة (٢٠٠٥) في وجود فروق جوهرية لصالح الإناث في بعض أبعاد القيم الأخلاقية تمثلت في: ثلاث عشرة فضيلة أخلاقية في دراسة نظمي أبومصطفى ومحمود أبودف (٢٠٠٠)، وفي: (علاقة الفرد مع ربه، وعلاقته مع الآخرين في دراسة حسام هيبة (٢٠٠٥).

وأشارت صفية سيد (٢٠٠٤) إلى أن الإناث أكثر إيثارا، وأكثر ثقة بالنفس من الذكور، في حين أشارت دراسة زياد بركات (٢٠٠٦) التي أجريت على عينة قوامها (٢٠٠) طالب وطالبة من المراهقين، إلى أن الإناث أكثر التزاما دينيا من الذكور، وكذلك أشارت نتائج دراسة تحية عبد العال ومصطفى مظلوم (٢٠١٣) التي أجريت على عينة قوامها (١٥٠) طالبا وطالبة من طلاب الجامعة، إلى أن الإناث أكثر تسامحا من الذكور.

وثمة من يؤكد وجود فروق جوهرية لصالح الذكور في بعض أبعاد القيم الأخلاقية، واتضح ذلك في دراسة كل من: نظمي أبومصطفى ومحمود أبودف (٢٠٠٠)، وأحمد عبد الخالق (٢٠١٠)، وتمثلت هذه الأبعاد في: عدم القنوط من رحمة الله في دراسة نظمي أبومصطفى ومحمود أبودف (٢٠٠٠)، وفي: مستوى العقيدة في دراسة أحمد عبد الخالق (٢٠١٠).

وأشارت نتائج توماس (Thomas، 2011) إلى أن الشباب الذكور أكثر تأثرا بالقيم الأخلاقية من الإناث.

وإذا كانت الدراسات السابقة لم تتفق بشأن الفروق بين الجنسين في القيم الأخلاقية، فلم يكن هذا الخلاف موجودا بشأن الفروق بين التخصصات العلمية والأدبية في القيم الأخلاقية، حيث يتفق كل من أشرف عبد القادر (١٩٨٩)، وفوزية الشهري (٢٠٠٠)، ونظمي أبومصطفى ومحمود أبودف (٢٠٠٠)، وحسام هيبة (٢٠٠٥)، وآمال الفقي (٢٠١٣) على عدم وجود فروق جوهرية بين التخصصات العلمية والأدبية في القيم الأخلاقية وأبعادها.

في حين أشار زياد بركات (٢٠٠٦) إلى أن الطلاب ذوي التخصصات الأدبية أكثر توجها نحو الالتزام الديني من الطلاب ذوي التخصصات العلمية.

وأما عن أثر تفاعل الجنس (ذكور، إناث) والتخصص الدراسي (علمي، وأدبي) فلم يجد الباحث في حدود علمه دراسات تناولت أثر التفاعل بين الجنس (ذكور، إناث) والتخصص الدراسي (علمي، أدبي) على القيم الأخلاقية وأبعادها.

تاسعا: المراهقون والقيم الأخلاقية University Students and Moral Values:

يعتبر الجانب الأخلاقي جانبا مهما في بناء الشخصية، ويشمل هذا الجانب على القيم والمثل والعادات والمعايير السلوكية، فهو يلعب دورا مهما في حياة الفرد والمجتمع، حيث إنه الموجه والضابط للسلوك الإنساني، كما أنه يساعد الفرد على الوصول إلى التوافق النفسي والاجتماعي (علي بن مسعود، ٢٠٠٩؛ وبلقيس داغستاني، ٢٠١٠).

والناظر إلى واقع القيم الأخلاقية في مجتمعنا المعاصر عامة، وفي مجتمع المراهقين خاصة يجد عجبا محجابا، حيث يعاني مجتمعنا المعاصر من أزمة أخلاقية بينة، فرضتها ظروف حياته السياسية والاقتصادية التي مر بها عبر سنوات سابقة، وما زال يمر بها محاولا إعادة بناء مجتمع راسخ البنيان، فزادت الأحقاد بين الناس، وانعدمت الأمانة، وانتشر الغش والتدليس داخل المجتمع، وانعدمت الثقة بين أفراد المجتمع، فانحرفت بذلك القيم عن مسارها الذي رسمه الله للناس لتيسير شئون حياتهم.

فالمراهقون إذا بحاجة ماسة إلى إعداد خلقي متميز من شأنه أن يجعل الأخلاق الحسنة مثل: الصدق، والأمانة، والوفاء، والشجاعة، والعفة والمروءة، والعدل عادات في سلوك هؤلاء الشباب وحركته الدائبة، كما تجعله نافرا من الأخلاق السيئة كالحسد والحقد والأنانية والكذب والظلم (نظمي أبومصطفى، ومحمود أبودف، ٢٠٠٠: ٢٦).

ويبدو أن الأزمة الأخلاقية قد أصبحت أمرا شائعا داخل المجتمعات على اختلاف بيئاتها وثقافاتها ودياناتها، فالعالم بأسره يعاني من أزمة أخلاقية وتراجع قيمي حيث أشار

سوريندر (Surinder ، 2012) إلى انخفاض القيم الأخلاقية في منطقة جهانجونيو بولاية راجستان بالهند لدى طلاب التعليم الثانوي العالي.

وكذا أشار إيبانكس (Eubanks، 2006) إلى انخفاض مستوى التدين لدى الطلاب المراهقين بالولايات المتحدة الأمريكية.

وأشار محمد المزين (٢٠٠٩) إلى انخفاض ثقافة التسامح لدى طلاب الجامعة الفلسطينيين، وانخفاض دور الجامعة في تعزيز قيم التسامح لدى هؤلاء الطلاب.

في حين أشارت دراسة بوياك (Boiak، 2010) إلى انخفاض القيم الأخلاقية والروحية لدى شباب الريف الروسي، الذين يعيشون في مناطق تشيتا، وبورياتسكي، وأوبلاست، نتج عنها انخفاض الصحة النفسية والبدنية، والقلق، وانعدام الثقة في المستقبل، وانخفاض الروح المعنوية لدى طلاب المدارس الثانوية (الدنيا، والعليا) في مدينة سيانغ بماليزيا.

ويرى بلاج (Blagg، 2011) أن ارتفاع مستوى التدين، والقيم الأخلاقية كالإيثار مرهون بالشعور النفسي القوي للفرد من المجتمع.

وأشارت هناء زكي (٢٠١٢) إلى أن مجتمعنا المعاصر يعاني من مشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية راجعة إلى وجود خواء أخلاقي داخل المجتمع، وربما انحراف عن قواعد السلوك المقبولة.

في حين أشارت زهراء مرادي (٢٠٠٨: ٢ – ٣) إلى أن المجتمعات العربية كلها تعاني من مشكلات أخلاقية، بل انحدار أخلاقي ألقي بظلاله على كافة مناحي الحياة، مسببا قلقا وخوفا شديدين لكل من يحمل هم المجتمع وإصلاحه، فكثرت جرائم القتل، والسرقة، والدعارة، وتجارة المخدرات، واحتدم الشقاق والخلافات الأسرية، ففي المملكة العربية السعودية ارتفع عدد الجرائم ٩٠ ألف جريمة جنائية عام ٢٠٠٥، وفي الكويت

٢٢٠٦٢ أي بمعدل جريمة في اليوم، وهذا ما تم الإبلاغ عنه رسميا للجهات الرسمية ومراكز الشرطة، وما خفي كان أعظم.

ورغم أن الباحث يرفض هذه النظرة السوداوية عند الحديث عن مجتمعنا المعاصر عامة والطلاب المراهقين خاصة؛ إلا أن اتفاق معظم الباحثين حول هذه النظرة يؤكد بالفعل أن المجتمع المعاصر عامة والطلاب المراهقين خاصة بحاجة إلى مزيد من العناية والاهتمام.

ومما يجدر ذكره أن الأشخاص الذين سجل التاريخ أسماءهم بحروف كبيرة وخطوط عريضة، إنما كانت شخصياتهم من نتاج مميزاتهم المعنوية وملكاتهم الأخلاقية الطاهرة، وإن المجتمع الذي لا يتسلح بسلاح الأخلاق الفاضلة ولا تسوده التعاليم الإنسانية لا يستحق الحياة فانقراض الحضارات التي سادت البشرية مدة من الزمان ثم بادت لم يكن على أثر فساد نظامهم الاقتصادي فحسب، بل انعدام المعنويات والأخلاق بينهم هو الذي جرهم إلى هوة السقوط والعدم، فتضعضع أركان الفضيلة أعظم أثرا من الحوادث والزلازل في تحطم المجتمع وضياعه (مجتبي اللاري، ١٩٩٢: ١٥).

وإن الطلاب المراهقين ما هم إلا أبناء وأفراد المجتمع، فما يصيب المجتمع يصيبهم ويؤثر فيهم وعليهم، وفي هذا الصدد يؤكد بلاج (Blagg، 2011) أن ارتفاع مستوى التدين، والقيم الأخلاقية كالإيثار لدى الأفراد مرهون بالشعور النفسي القوي للفرد من المجتمع، فالطلاب المراهقين إذا هم المرآة العاكسة للمجتمع، ومن ثم فإنهم يعانون ويلات الأزمة الأخلاقية المنتشرة داخل المجتمع.

تعليق:

إن الطلاب المراهقين يعانون من أزمة أخلاقية واضحة، تمخض عنها مشكلات واضطرابات نفسية شتى لدى كثير من الطلاب، تمثلت في: القلق والاكتئاب، والتوتر، والضغوط النفسية، والخوف من المستقبل.. إلخ – وهذا ما أكدته الدراسات والبحوث السابقة – نغصت عليهم حياتهم، وأرقتهم كثيرا، فكيف لمجتمع ينشد الرقي والتقدم

والازدهار أن يحقق أهدافه، وقد فقد مقوا أساسيا وحصنا حصينا من مقومات نجاحه وتقدمه واعتماده؟!.

فالطالب المراهق هو عماد المجتمع، وهو أمل الغد، فعلى كواهل الشباب تقوم المجتمعات، ولن يحقق المجتمع رقيه وازدهاره وما يربو إليه إلا من خلال الطالب المراهق، لكنه بحاجة – أي مراهقين – إلى من يسانده؛ ولذا لابد من عودة المجتمع إلى غرس المبادئ والقيم الأخلاقية لدى طالب مراهقين؛ ليجني المجتمع شخصية متزنة انفعاليا وروحيا ونفسيا وجسديا، راضية عن حياتها، مستمتعة بوجودها؛ لتكون سلاحه في مواجهة تحدياته وبناء حضارته ومستقبله.

المراجع

أولاً : المراجع العربية:

١- أبوبكر إبراهيم التلوع (١٩٩٠). **الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي**. بنغازي: دار الكتب الوطنية.

٢- أحمد بن عوض الشهري (٢٠١٢). دور التربية باللعب في تنمية القيم الخلقية لطلاب المرحلة الابتدائية، تصور مقترح في ضوء التربية الإسلامية. **رسالة ماجستير**، كلية التربية جامعة أم القرى.

٣- أحمد عبدالخالق، وتغريد الشطي، وسماح الذيب، وسوسن عباس، وشيماء أحمد، ونادية الثويلي، ونجاة السعيدي (٢٠٠٣). معدلات السعادة لدى عينات عمرية مختلفة من المجتمع الكويتي. مجلة دراسات نفسية، ١٣، (٤)، ٥٨١ - ٩١٢.

٤- أحمد محمد عبد الخالق (٢٠٠٨). الصيغة العربية لمقياس نوعية الحياة الصادر عن منظمة الصحة العالمية: نتائج أولية. مجلة دراسات نفسية، ١٨، (٢)، ٢٤٧ - ٢٥٧.

٥- أحمد محمد عبد الخالق (٢٠١٠). التدين والحياة الطيبة والصحة النفسية لدى عينة من طلاب والجامعة الكويتيين. مجلة دراسات نفسية، ٢٠، (٣)،٥٠٣ - ٥٢٠.

٦- أحمد محمد عقلة (٢٠١٠). منظومة القيم التي تعكسها البرامج الدينية في التليفزيون الأردني لدى عينة من الطلبة المراهقين في محافظة عجلون الأردنية. **مجلة جامعة أم القرى للعلوم** الاجتماعية، ٢، (٢)، ١١٣ - ١٦٣.

٧- أسامة فاروق سالم (٢٠١١). فاعلية برنامج إرشادي قائم على فنية لعب الدور في تنمية القيم الأخلاقية لدى الطلاب الصم. **المجلة المصرية للدراسات النفسية**، ٢١، (٧٣)، ١ - ٤٤.

٨- أشرف أحمد عبد القادر (١٩٨٦). القيم الدينية وعلاقتها ببعض سمات الشخصية. **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية التربية، جامعة بنها.

٩- أشرف أحمد عبد القادر (٢٠٠٥). تحسين جودة الحياة كمنبئ للحد من الإعاقة. **مقدم إلى ندوة تطوير الأداء في مجال الوقاية من الإعاقة**، الرياض: المملكة العربية السعودية، في الفترة من ١٤- ١٦ فبراير، ٨٩ - ١٢٨.

١٠- آمال إبراهيم الفقي(٢٠١٣). القيم الخلقية وعلاقتها بمستوى الشعور بالرضا عن الحياة لدى طلاب الجامعة (دراسة سيكومترية كلينيكية). **المؤتمر الدولي الأول لقسم الصحة النفسية "قضايا الشباب المعاصرة والمواطنة من**

منظور اجتماعي – نفسي"، كلية التربية، جامعة الزقازيق، في الفترة من ٢٧ – ٢٨ أكتوبر، ٢٤ – ٦٦.

١١- إمام عبد الفتاح إمام (٢٠٠٢). **الأخلاق .. والسياسة. "دراسة في فلسفة الحكم"**. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

١٢- أمل إسماعيل عايز (٢٠١٠). قياس القيم الاجتماعية وعلاقتها بتقبل الذات لدى طلبة الجامعة. **مجلة الفتح**، (٤٥)، ٤٦ – ٩٧.

١٣- أمل مهدي كاظم (٢٠١١). القيم الأخلاقية في الفكر التربوي عند الحسن البصري والماوردي. **مجلة الفتح**، (٤٦)، ٦٥ – ٩٢.

١٤- أمينة إبراهيم شلبي (٢٠١١). القيم كمنبئات بالرضا عن الحياة. المجلة المصرية للدراسات النفسية، ٢١، (٧٢)، ٨٢ – ١٣٤.

١٥- أوتوفينخل (١٩٩٩). **نظرية التحليل النفسي في العصاب**. (ترجمة صلاح مخيمر، وعبده ميخائيل). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

١٦- بلقيس إسماعيل داغستاني (٢٠١٠). أثر برنامج مقترح قائم على الأنشطة التربوية في تنمية بعض القيم الخلقية والاجتماعية لدى طفل الروضة. **مجلة رابطة التربية الحديثة**، (٨) ، ١٣-١٥٦ .

١٧- تحية محمد عبد العال، ومصطفي علي مظلوم (٢٠١٣). الاستمتاع بالحياة في علاقته ببعض متغيرات الشخصية الإيجابية (دراسة في علم النفس الإيجابي). **مجلة كلية التربية ببنها**، ٢٤، (٩٣)، ج٢، ٧٩ – ١٩٣.

١٨- توما جورج خوري (١٩٩٩). **الشخصية: مقوماتها، سلوكها، علاقتها بالتعلم**. بيروت: و لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

١٩- جابر عبدالحميد جابر (١٩٩٠). **نظريات الشخصية**: البناء، الديناميات، النمو، طرق البحث، التقويم. القاهرة: دار النهضة العربية.

٢٠- جابر عبد الحميد جابر، وعلاء الدين كفافي (١٩٩٢): معجم علم النفس والطب النفسي (ج٥). القاهرة: دار النهضة العربية.

٢١- جابر عبد الحميد جابر، وعلاء الدين كفافي (١٩٩٦). **معجم علم النفس والطب النفسي** (ج٨). القاهرة: دار النهضة العربية.

٢٢- جابر قميحة (١٩٨٤). **المدخل إلى القيم الإسلامية**. القاهرة: دار الكتاب المصري.

٢٣- جليلة عبد المنعم مرسي (٢٠١١). جودة الحياة والذكاء الخلقي لدى عينة من طلاب كلية التربية (دراسة تنبؤية). **المجلة المصرية للدراسات النفسية**، ٢١، (٧٢)، ١٣٤ - ٢١٦.

٢٤- حامد عبد السلام زهران (٢٠٠٥ أ). **التوجيه والإرشاد النفسي** (ط). القاهرة: عالم الكتب.

٢٥- حامد عبدالسلام زهران (١٩٨٤). علم النفس الاجتماعي (طه). القاهرة: عالم الكتب.

٢٦- حسام إسماعيل هيبة (٢٠٠٥). دراسة لبعض القيم الخلقية السائدة لدى طلاب كليات التربية. **المؤتمر السنوي الثاني عشر " الإرشاد النفسي من أجل التنمية في عصر المعلومات"**، مركز الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، في الفترة من ٢٥ - ٢٧ ديسمبر، ٧٧٩ - ٨٣٤.

٢٧- حيدر حب الله (٢٠١٠). الأخلاق العلمية، محاولة لإعادة استحضار القيم الأخلاقية في النشاط المعرفي. مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، (٢٠)،٥٩ - ٨٠.

٢٨- خالد محمد المزين (٢٠٠٩). القيم الأخلاقية المتضمنة في محتوى كتب لغتنا الجميلة للمرحلة الأساسية الدنيا، ومدى اكتساب تلاميذ الصف الرابع الأساسي لها. **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة.

٢٩- دانييل لاجاش (ب.ت). **المجمل في التحليل النفسي**. (ترجمة مصطفي زيور، وعبد السلام القفاش). عين شمس: مكتبة الدراسات النفسية والاجتماعية.

٣٠- زهراء محمد مرادي (٢٠٠٨). المشكلات الأخلاقية المنتشرة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة وسبل معالجتها. **ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر " أخلاقنا بين النظرية والسلوك: أسباب ومعالجات"**، البحرين: المنامة، في الفترة من ٣ – ٤ نوفمبر، ١ – ١٦.

٣١- زياد أمين بركات (٢٠٠٩). الاتجاه نحو الالتزام الديني وعلاقته بالتكيف النفسي والاجتماعي لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة. **مجلة جامعة الخليل للبحوث**، ٢، (٢)، ١١٠ – ١٣٩.

٣٢- سعد جلال (١٩٨٥). **المرجع في علم النفس**. القاهرة: دار الفكر العربي.

٣٣- سلمان رفعان آل الشريف (٢٠١٢). القيم الأخلاقية والحضارية في القرآن الكريم. **بحث مقدم إلى المؤتمر القرآني الدولي الثاني بمقدس**، جامعة ملايا، كوالالمبور، ماليزيا، في الفترة من ٢٢ – ٢٣ فبراير، ١ – ١٣.

٣٤- سليمان ذياب موسي، وعايد أحمد الخوالدة (٢٠٠٧). درجة التزام المعلمين بالقيم الاجتماعية في ممارسة التعليم. **مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية**، ١٩، (١) ١٧٩-٢٢٢ .

٣٥- سهير كامل أحمد (٢٠٠٠). **التوجيه والإرشاد النفسي**. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.

٣٦- سيد محمد غنيم (١٩٨٧). **سيكولوجية الشخصية: محدداتها، قياسها، نظرياتها**. القاهرة: دار النهضة العربية.

٣٧- صفية فتح الباب سيد (٢٠٠٤). أبعاد الثقة بين الأصدقاء وعلاقتها بالإيثار والإفصاح عن الذات. **دراسات عربية في علم النفس**، ٣، (٤)، ٢١٩ – ٢٢٥.

٣٨- صلاح الدين بسيوني رسلان (١٩٩٠). **القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية**. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

٣٩- صلاح مخيمر (١٩٩٦). المدخل إلى الصحة النفسية (ط). القاهرة: مكتبة الأنجلو.

٤٠- عادل عزالدين الأشول (١٩٩٦). **علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة.** القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. عادل عزالدين الأشول (٢٠٠٥).

٤١- عاهد محمود مرتجي (٢٠٠٤). مدى ممارسة طلبة المرحلة الثانوية للقيم الأخلاقية من وجهة نظر معلميهم في محافظة غزة. رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الأزهر بغزة.

٤٢- نوعية الحياة من المنظور الاجتماعي والنفسي والطبي. المؤتمر العلمي الثالث "**الإنماء النفسي والتربوي للإنسان العربي في ضوء جودة الحياة**"، كلية التربية، جامعة الزقازيق، في الفترة من ١٥ – ١٦ مارس، ٣ – ١١.

٤٣- عبدالرحمن حسن الميداني (١٩٩٩). **الأخلاق الإسلامية وأسسها** (طه). ج ١، دمشق: دار القلم.

٤٤- عبد اللطيف محمد خليفة (١٩٩٢). **ارتقاء القيم، دراسة نفسية.** عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.

٤٥- عبدالمجيد بن مسعود (١٩٩٨). **القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر** . الدوحة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، سلسلة كتاب الأمة، (٦٧).

٤٦- عبدالوهاب عبد العزيز الشيشاني (١٩٨٨). **القيم الأخلاقية في ضوء الثقافة العربية والإسلامية.** الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

٤٧- علاء الدين كفافي (١٩٨٧). **الصحة النفسية** (ط٢). القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٨- علي بن مسعود بن أحمد (٢٠٠٩). تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب المرحلة المتوسطة من وجهة نظر معلمي التربية الإسلامية بمحافظة القنفدة. **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية التربية، جامعة أم القري.

٤٩- عوض بن حمد الحسني (٢٠٠٧). تنمية القيم الأخلاقية في المرحلة الثانوية من خلال الأنشطة غير الصفية (دراسة ميدانية). **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية التربية، جامعة أم القري.

٥٠- فوزية علي الشهري (٢٠٠٠). القيم الخلقية وعلاقتها بالعصابية " دراسة ميدانية على عينة من طالبات كلية التربية للبنات بمدينة الرياض". **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية التربية للبنات، الرياض.

٥١- ك. هول، لندزي (١٩٧١). **نظريات الشخصية**. (ترجمة فرج أحمد فرج وآخرون). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٥٢- كامل محمد عويضة (١٩٩٦). علم نفس النمو. بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

٥٣- لورنس جولد (١٩٩٦). استمتع بالحياة. (ترجمة عبد المنعم محمد الزيادي). القاهرة: مكتبة الخانجي.

٥٤- مانع بن محمد المانع (٢٠٠٥). **القيم بين الإسلام والغرب: دراسة تأصيلية مقارنة**. الرياض: دار الفضيلة.

٥٥- مؤمن بكوش الجموعي (٢٠١٣). القيم الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، دراسة ميدانية بجامعة الوادي. **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر.

٥٦- مجتبى اللاري (١٩٩٢). **دراسة في المشاكل النفسية والأخلاقية**. بيروت، لبنان، دار الصفوة.

٥٧- محمد السيد عبد الرحمن (١٩٩٨). **نظريات الشخصية**. القاهرة: دار قباء.

٥٨- محمد حميدان العبادي (٢٠٠٤). القيم المتضمنة في كتب القراءة للصفوف الأربعة الأولى من التعليم الأساسي الحلقة الأولى) في سلطنة عمان. **مجلة رسالة الخليج**، (٩١)، ١ – ٨٨ .

٥٩- محمد عبدالله دراز (١٩٩٦). **دستور الأخلاق في القرءان : دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرءان**. (ترجمة عبد الصبور شاهين). القاهرة: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع.

٦٠- محمد فيصل شيخاني (١٩٩٧). **القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية: دراسة تاريخية وتربوية تحليلية**. حمص: مطبعة اليمامة.

٦١- محمد كامل حتة (١٩٨٣). **القيم الدينية والمجتمع**. القاهرة: دار المعارف.

٦٢- مسفر عبدالله المالكي (٢٠٠٨). دور منهج الحديث والثقافة الإسلامية في تعزيز القيم الخلقية لدى طلاب الصف الأول الثانوي بمحافظة الطائف. **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية التربية، جامعة أم القرى.

٦٣- مصطفى سويف (١٩٧٥). **مقدمة لعلم النفس الاجتماعي** (ط٤). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٦٤- مطهر بن علي الفقيه (٢٠٠٧). دور النشاط الرياضي المدرسي في تنمية القيم الخلقية من وجهة نظر معلمي التربية البدنية بمحافظة القنفذة. **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية التربية، جامعة أم القرى.

٦٥- نبيل عبد الفتاح حافظ، وعبدالرحمن سيد سليمان، وسميرة محمد شند (١٩٩٨). **علم النفس الاجتماعي**. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

٦٦- نظمي عودة أبومصطفى، ومحمود خليل أبودف (٢٠٠٠). ممارسة طلاب الجامعة الإسلامية بغزة لبعض الفضائل الخلقية وعلاقتها ببعض المتغيرات. **مجلة القياس والتقويم النفسي والتربوي**، جامعة الأزهر بغزة، (٢)، ١ - ٧٩.

٦٧- هناء محمد زكي (٢٠١٢). فعالية برنامج تدريبي قائم على الذكاء الوجداني في تنمية الحساسية الأخلاقية. **مجلة كلية التربية ببنها**، (٨٩)، ١٣٥ - ١٧٣.

٦٨- هويدا محمد الحسيني محمد (٢٠٠٨). القيم في القصص المترجمة للأطفال، دراسة تحليلية تقويمية. مجلة كلية التربية ببنها، ١٨، (٧٤)، ١ - ٧٥.

٦٩- وليام كرين (١٩٩٦). **نظريات النمو: مفاهيم وتطبيقات**. (ترجمة محمد الأنصاري). ماجستير .الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.

٧٠- وليد محمود عبد الناصر (٢٠٠٨). **المجتمع المصري ومنظومة القيم، رؤية تحليلية نقدية ذات بعد تاريخي ومنظور مستقبلي.** القاهرة: مركز الدراسات المستقبلية.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

71- Abdullah, S., Salleh, A., Mahmud, Z., & Ghani, S. (2010). Moral Value Inventory for Muslim Adolescents. **Journal of Procedia Social and Behavioral Sciences**, 7, 106-112.

72- Abdullah, S., Salleh, A., Mahmud, Z., & Ghani, S. A. (2010). Moral value inventory for Muslim Adolescents. **Procedia-Social and Behavioral Sciences**, 7, 106-112.

73- AL Shammary, Z., & Al Hooly, A. (2008). Teacghing and learning moral values through Kinderegarten curriculum. **Journal of Education**, (13), 382-399.

74- Biron, L., Rumbold, B., & Faden, R. (2012). Social Value Judgments in Healthcare: A Philosophical Critique. **Journal of Health Organization and Management**, 26, (3), 317-330.

75- Blagg, R. (2011). Exploring Religiousness ,Community& Al-truism :Implications for Health. **Ph. D. Dissertation**, Claremont, California.

76- Boiak, T. (2010). The Spiritual and Moral Values of Rural Youth. **Journal of Russian Education and Society**, 52, (2), 45-56.

77- David, L. (N.D). **A critical Analysis of Values Clarification**. Apologetics Press, Inc, 230 Landmark Drive, Montgomery, AL 36117 U.S.A.

78- Elçi, M., Sener, I., & Alpkan, L. (2011). The Impact of Morality and Religiosity of Employees on Their Hardworking Behavior.**Journal of Procedia Social and Behavioral Sciences**, 24, 1367.

79- Elias, K. (2011). How not to Think about Moral Values. **Journal of Economic Behavior & Organization**, 77, (2), 234-238.

80- Eubanks, A. (2006). God Help me : How College Students use Religion /Spirtuality to cope with Stress. **Msc. Dissertation**, Southern Illinois University Carbondale.

81- Friedman, M. (1997). **Improving the Quality of Life**. London: Westport, Connecticut. Frisch, M. (2006). **Quality of Life Therapy: Applying a Life Satisfaction Approach to Positive Psychology and Cognitive Therapy.** Canada: John Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey.

82- Jaakson, K., & Vadi, M. (2006). **The Importance of Value Honest :Determining Factors and Some Hints to Ethics**. Faculty of Economics and Business Administration, Tartu University Press.

83- Masmuzidin, M., Jiang, J., & Wan, T. (2012). Learning moral values through virtual technology: the development and evaluation of Malaysian virtual folktales- Hikayat Land. **Journal of Procedia - Social and Behavioral Sciences**, 31, 315- 322.

84- Melva, C. (1988). Moral values in curriculum. Ashifting paradigm 1960 -1988. **Ph. D. Dissertation**, Oklahoma state University.

85- Surinder. (2012). An Analytical Study Of Moral Values Of Senior Secondary School Students Of Jhunjhunu District. **Indian Streams Research Journal**, 2, 9, 1-6. Sutherland, S. (1991). Macmillan Dictionary of Psychology. London and Bsingstoke: Macmillan Press LTD.

86- Thomas, A. (2011). Parent and Peer Influence: Their Role in Predicting Adolescent Moral values and Delinquent Behavior. Msc. Dissertation, Colorado State University, Fort Collins. Thompson, M. (2011). Developing Moral Values in Children: Observations

from A Preschool. **Journal of Life Center for Psychological** Studies & Sevices, 19, (2), 394-411.

87- Wilson, J. (2011). An Examination of the Relationship Between Values, Family environment, and Risk Behaviors Among College Students. **Ph. D. Dissertation**, University of North Texas.